

## مناهج البحث في الأدب

قسم الأدب - كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

برنامج الانتساب - الفصل الثاني / ١٤٣٥هـ - ١٤٣٦هـ

### توصيف مقرر مناهج البحث في الأدب

رمز المقرر:	عدد الساعات:	الشعبة:
٥٠ - ٥٠٣٢٦١	ساعتان	٦٠٠
أستاذ المقرر:	البريد الإلكتروني:	الجوال:
أ.محمد بن سعيد بن ناصر القرني	<a href="mailto:msngarni@uqu.edu.com">msngarni@uqu.edu.com</a>	٠٥٠٦٧٣٨٩٢٣

أولاً: بيانات المقرر:

توصيف المقرر الدراسي:

( قائمة الموضوعات )	
● مصطلحات ومفاهيم:	
— البحث الأدبي.	
— أسس البحث الأدبي.	
— منهج البحث الأدبي.	
● تابع مصطلحات ومفاهيم:	
— المصادر والمراجع.	
— تحقيق النصوص الأدبية.	
— البحث الأدبي والدراسة الأدبية.	
● مناهج البحث في الأدب العربي القديم:	
— منهج التوثيق والرواية.	
— المنهج التاريخي النقدي.	
— المنهج التحليلي.	
— منهج التتبع والاستقصاء.	
— المنهج التاريخي.	
— المنهج النفسي.	
● تابع مناهج البحث الأدبي الحديثة:	
— المنهج الاجتماعي.	
— المنهج الفني.	
— المنهج التكاملي.	

بسم الله الرحمن الرحيم

## مادة مناهج البحث في الأدب

### • تعريف المنهج:

كلمة منهج : مصدر بمعنى طريق ومسلك ، وهي مشتقة من الفعل "نهج" بمعنى "طرق" أو "سلك" أو "اتبع" والنهج، والمنهج، والمنهاج تعني: الطريق الواضح. والمنهج في أبسط تعريفاته وأشملها: طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة.

### • تعريف البحث:

البحث : مصدر الفعل الماضي بحث ، ومعناه : طلب، وفتش ، وتقصى، وتتبع، وتحري، وسأل، وحاول، واكتشف.  
أي أن البحث هو: الطلب، والتفتيش، والتقصي لحقيقة من الحقائق، وإذاعتها في الناس.  
وفي كلمة الحقيقة ما يبين المعنى الإنساني للبحث ، ويدخل في هذا المعنى الشمول فيما يتصل بالفكر البشري وعاطفته وخياله.

### • البحث الأدبي:

طلب الحقيقة الأدبية في مصادرها وإذاعتها.

### • منهج البحث الأدبي:

الطريقة التي يسير عليها الباحث؛ ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب أو قضاياها، منذ العزم على الدراسة وتحديد الموضوع حتى تقديمه ثمرة علمه إلى المشرفين أو الناقلين والقراء.

وعلى الرغم من أن المنهج الأدبي يفيد من المناهج الأخرى في خطوطها ، وخصوصاً منهج التاريخ، لكنه يتميز بأنه يتعامل مع مادة فنية ونص إنشائي ، على الباحث فيه أن يغوص إلى أعماقه ويقراً ما وراء حروفه؛ فيصل خياله بخيال صاحبه وعاطفته بعاطفته.

### • الفائدة من منهج البحث الأدبي:

أ - منهج البحث مظهر حضاري تشتد الحاجة إليه بعد الحاجة إلى الدرس والتأليف وما يصحب ذلك من تراكم الخبرات وتضخم المادة، وما يتصل بهما عادة من اضطراب وفوضى و جهل فتضيع الحقيقة، فيتدخل الغياري ويرسمون طريقاً يبين صواب المصيبين ويفضح خطأ المخطئين، ويسهلون أمر البحث على الناشئة والطلاب مستفيدين مما حققته البشرية في تاريخها العلمي.

ب - منهج البحث الأدبي يعلم الطلاب كيف يبدوون وكيف ينتهون، ويوفر عليهم الوقت والجهد، ويجنبهم الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه السابقون ويعودهم الدقة ويحفظهم من الضياع والسأم والشعور بالعجز.

ج - يجب إلى الطلاب البحث ويهيئ لهم الاستمتاع بثمره عملهم ويعدهم لبحث أوسع وتأليف أخطر في مدى إنساني أبعده.

### • مادة البحث الأدبي:

هي الأدب بفرعيه: الشعر والنثر وما تفرع منهما، ونعني بالأدب: الكلام الذي يقصد به إلى إثارة الانفعالات في قلوب القراء والسامعين.

### • البحث الأدبي والدراسة الأدبية:

- أ - لا بد للباحث من ثقافة واسعة كي يهتدي إلى بحث أدبي طريف.
- ب - على الباحث أن يتسلح بقراءات كثيرة حتى تتكون شخصيته تكوياً أولياً.
- ج - على الباحث أن يحدد لنفسه العصر الذي يعمل فيه والمكان أو الإقليم والشخص والجناب المختلفة المتصلة بالبحث.
- د - ينبغي أن ينقب الباحث الناشئ عن جانب من جوانب النشاط الأدبي لم يعن به الدارسون من قبل ويقراً حوله كثيراً حتى ينكشف له من جهاته انكشافاً تاماً.

هـ - ألا يكون موضوع البحث واسعا حتى يستطيع الباحث المبتدئ أن يلم بأطرافه وح تى تصبح له معرفة دقيقة بتفاصيله، وحتى يمكن أن يتعمق في أغواره.

و - البحث الأدبي الذي يتبع فيه صاحبه المنهج العلمي السليم يعرف من العنوان الذي يجمع بين الجودة والدقة، والتبويب وما بين الفصول والفقر من ترابط وتجانس وتناسب، والهوامش وما هي عليه من إيجاز في الدلالة على المصادر، ثم ما يصحب ذلك من فهرس وقائمة تامة من المعلومات عن المصادر والمراجع.

### • المصادر والمراجع:

المصادر:

من الباحثين من يقول " المصادر " ويريد " المراجع " ومنهم من يقول " المراجع " ويريد " المصادر " ومنهم - وهم الأكثر - من يطلق لفظه و يريد إلى ما تشتمل عليه اللفظتان، ولكن يجب التفريق بينهما، فأما المصادر: فهي الكتب القديمة التي يعود إليها الباحث ليأخذ منها مادته الخام وهي وحدها الجديرة باسم المصادر . ومن المصادر ما يرقى تأليفه إلى عصر الموضوع الذي يكتب فيه ومنها ما يعود لعصور تالية له.

ولا بد أن يأتي في طليعة المصادر النصوص الإنشائية من شعر ونثر في التي أنتجها الأديب الذي يدرسه الباحث إن كان يدرس أدبيا ، والمادة التي أنتجها الأدباء الذين يكونون المادة الأولى لبحث الباحث إن كان عصرا أو تيارا أو غرضا أو ظاهرة أدبية. ومنها كل المؤلفات الأخرى التي خلفها ذلك الأديب أو أولئك الأدباء. أما المراجع فهي:

هذه المؤلفات الحديثة التي كتبها مؤلفون معاصرون لنا أو من أبناء العصر الحديث في موضوعات مختلفة. ومن هنا حسن تمييزها عن المصادر فسميت " المراجع ". وسميت مراجع لأنها ألقت لعامة القراء لتكون أقرب شيء يرجعون إليه للعلم بشيء أو بعدة أشياء، والمفروض في أصحابها أنهم اعتمدوا المصادر لدى جمع مادتهم وتأليفها. وخلاصة القول أن المراجع ألقت للقراء أولا، أما المصادر فهي للمؤلفين أولا. إنَّ المراجع لعامة طالبي المعرفة، أما المتخصصون فيذهبون إلى ما هو أبعد منها إلى المصادر.

## ● من أشهر المراجع العامة:

- تاريخ الأدب العربي، تأليف: كارل بروكلمان.
- تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف: جرجي زيدان.
- تاريخ الأدب العربي، تأليف: شوقي ضيف.
- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي.
- معجم المؤلفين، تأليف: رضا كحالة.
- مصادر الدراسة الأدبية، تأليف: يوسف أسعد داغر.
- تاريخ الأدب العربي، تأليف: عمر فروخ.
- تاريخ التراث العربي، تأليف: فؤاد سزكين.

## ● ومن أهم المصادر:

- طبقات فحول الشعراء، تأليف: ابن سلام الجمحي.
- الشعر والشعراء، تأليف: ابن قتيبة.
- الأغاني، تأليف: أبو الفرج الأصفهاني.
- الأمالي، تأليف: أبو علي القالي.
- يتيمة الدهر، تأليف: الثعالبي.
- خريدة القصر، تأليف: العماد الأصبهاني.
- الذخيرة، تأليف: ابن بسام.
- نفح الطيب، تأليف: المقري.
- معجم الأدباء، تأليف: ياقوت الحموي.
- وفيات الأعيان، تأليف: ابن خلكان.

إلى غير ذلك من كتب لا بد من معرفتها في بابها من اللغة والتاريخ والجغرافية والفقهِ والحديث والتفسير ... إلخ.

وعادة يدرس الطالب في المصادر: تاريخ تأليف المصدر، وأهم موضوعاته واتجاهاته، ونظامه وتبويجه ... وما إلى ذلك من أمور عامة يحسن أن يعرفها الباحث والقارئ عن أي مؤلف لأن دراسة المصادر تنفع كثيرا، ومن الباحثين من يستهين بها فتفوته أشياء كثيرة.

## • تحقيق النصوص الأدبية:

المخطوطات هي مصادر الكتب الحديثة ، ومنابعها الغزيرة ، وهي أصل العلوم الحديثة ، ومعروف أنه لم يكن للعرب قبل الإسلام كتاب مدون ، وأن القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ، أول كتاب دونه العرب ، وقد دونه أبو بكر الصديق في مصحف واحد ، ثم دونه عثمان بن عفان في مصحفه المشهور ، وأرسل منه نسخا إلى الأمصار ، غير أن تلاوته ظلت الأساس في تداوله منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليوم يأخذها جيل عن جيل بالسند المتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، سند لا يرقى إليه شك في حرف أو حركة.

ثم دون بعد ذلك الحديث الشري ف بعد عمل ضخم من التوثيق العلمي الذي أخذ يحوط رواية الحديث بسياج متين من الصحة والدقة ، وقد رافقه تحقيق واسع في صحة رواية الرّص . وقد ظلت الأخبار والأشعار العربية تروى شفاهها حتى إذا كان العصر العباسي أخذت تنشأ طبقات متتالية من الرواة الذين يقومون بتدوينهما ، وقد نشأت حركة واسعة من التوثيق لرواية الأشعار والأخبار كما نشأت حركة واسعة من تحقيق النصوص والتعرف على ما حدث في أمهاتها من زيادة ونقص وحدث تحقيق مهم في الأشعار هو ضبطها وشرحها وقد عددوا الشروح مثل الشرح التاريخي واللغوي ، وقد نهض رواة الشعر وعلماءه بتحقيق واسع في نسبته إلى أصحابه ، فتارة يراجعون دواوينه وتارة يعرضونه على الأحداث أو التاريخ وأعلامه ليتبينوا صحاحه من زائفه ، وسليمه من سقيمه ، وقاموا بمراجعات كثيرة لألفاظه ليوضحوا ما دخل أحيانا من تصحيف وتحريف .

وقد أفاد علماء الشعر كثيرا من القواعد السديدة التي وضعها المحدثون للتوثق من صحة الحديث النبوي الشريف ودقة روايته ورواية مصنفاة ، وقد طبقوا هذه القواعد تطبيقا واسعا حتى ينفوا عنه الزيف والمنحول ، وقد بدأوا ذلك بتمييز الرواة المتهمين من الموثقين والنص دائما على الوضاعين من أمثال حماد الراوية ، وخلف الأحمر ، وكانا ينحلان شعر الشاعر غيره ويزيدان في الأشعار.

وكان كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي أهم كتاب لما وثقه رواية البصرة من نصوص الشعر القديم.

وكان ابن سلام وغيره من رواة الشعر الموثقين يفحصون ما تضيفه القبائل إلى شعرائها من أشعار ، ويرفضون ما يثبت عندهم زيفه كما كانوا يرفضون رواية الرواة الوضاعين ممن يحسنون صوغ الشعر وينسبونه إلى القدماء ويرفضون ما يحمله رواة السير والأخبار من أشعار غثة سقيمة أضافوها إلى الأمم البائدة في غير احتراس ولا احتياط.

## مناهج البحث في الأدب العربي القديم

### ● منهج التوثيق والرواية:

١ عني القدماء عناية واسعة بتوثيق دواوين الشعر القديم ، وكانوا ينصون على ما زاد في بعض الروايات ، كما كانوا ينصون أحيانا على أوثقها ، فنرى مثلا أن ابن النديم ينص في كتابه " الفهرست " على ان المفضليات للمفضل الضبي تحتوي على مئة وثمان وعشرين قصيدة ، وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عن المفضل والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي ، وكان تلميذه وكان علما من الأعلام الثقات في اللغة ورواية الشعر.

وابن النديم يريد أن يلفت انتباهنا إلى أن رواية ابن الأعرابي من أعلى الروايات وأوثقها

٢ ويلقانا في بعض الدواوين الشعرية القديمة أنهما من صنعة هذا العالم اللغوي الكبير أو ذاك ، وكانوا يعنون بذلك أنه راجع الروايات المختلفة للديوان وقابل بينها وأخرجه معتمدا على أوثقها وأضبطها في رأيه مثل ديوان ذي الرمة الذي اعتمد في توثيقه على روايتين

٣ وكثيرا ما كانوا يكتبون سند الرواة على الصفحة الأولى من الديوان ودائما تتقدم النسخة المسندة غيرها من النسخ حتى في الرواية الواحدة. مثال ذلك ديوان جرير الذي رواه ابن حبيب عن ابن الأعرابي وعمارة حفيد جرير ويعد هذا توثيقا قويا لنسخة الديوان.

### ● منهج التسبع والاستقصاء:

١ لا يراد بالاستقصاء جمع الحقائق المفيدة وغير المفيدة فدائما لا بد من الانتخاب والاختيار والانتقاء ، ولا بد أيضا من الاستقصاء الدقيق والإحاطة التامة بكل

الحقائق المتصلة بالبحث الأدبي ونصوصه الجزئية حتى يمكن الوصول إلى الحقائق والصفات الكلية.

ولذلك كان على الباحث في الأدب أن يبدأ بجمع الأمثلة والنصوص ويصنفها حسب الموضوعات التي يتناولها في بحثه المعين.

٢ تبدأ البحوث الأدبية بالجزئيات وتنتقل منها إلى الكليات ، تبدأ مثلاً من قصيدة وتقرن إليها قصائد أخرى في عصر معين لتستخلص ما تشترك فيه من خصائص أو ظواهر معينة.

وقد تبدأ من أبيات مفردة في قصيدة لتصل إلى خصيصة أو ظاهرة تقيد بها.

٣ الاستقصاء عماد البحث الأدبي وقوامه ومن هنا يجب على الباحث الذي يكتب بحثاً عن عصر بعينه أن يقرأ أكثر النصوص التي نظمت في هذا العصر.

وكذلك الذي يكتب عن شاعر معين عليه أن يقرأ القصائد كلها التي نظمها ذلك الشاعر حتى يصل إلى أحكام دقيقة.

٤ كثيراً ما يبذل الاستقراء والاستقصاء حكماً خاطئاً شاع بين الباحثين مثل قول المستشرقين إن الشعر في صدر الإسلام ظل بصورته الجاهلية إلا بعض آثار طفيفة ظهرت عند حسان ومواطنيه من شعراء المدينة ، وهو رأي خاطئ لأن الإسلام غير كثيراً من نظرة الشعراء إلى الكون والحياة ، وقد ظهر هذا واضحاً في شعر الشعراء الذين عاشوا في العصر الإسلامي.

٥ يجب الاستقصاء الكامل لنصوص العصر الذي يدرس حتى تكون الأحكام صحيحة وكذلك الاستقصاء الكامل لشعر الشاعر وعلى الخصوص عند الحديث عن عقيدة الشاعر ونفسيته.

٦ للبحث الأدبي في حقيقته استقراء واستقصاء للنصوص وإحاطة بها من جميع أطرافها ، وهو استنباط واشتقاق من النصوص للخصائص والصفات مع بيان العلة الباطنة ولا بد مع كل استنباط من نصوص يستخرج منها إما إذا لم يقترن الاستنباط بالنصوص فيكون حينئذ فرضاً ، والنصوص الأدبية لا تتعامل مع فروض.

٧ قلة الاستنباطات تؤذي البحوث والدراسات الأدبية إذ يحس القارئ أنه أمام باحث لا يتعمق ما يبحثه.

## • المنهج التحليلي:

- ١ - هو تحليل الأثر الأدبي تحليلاً يوضح عناصر جماله وتأثيره في النفوس ، وإذا كان التذوق هو الأساس الذي يقوم عليه البحث الأدبي فإن التحليل هو البناء كله . وكل ظاهرة وكل قصيدة وكل عمل أدبي وكل أديب ينبغي أن يحلل إلى العناصر التي يتكون منها.
- ٢ - يجب تحليل العناصر التي تجمع من حياة الشاعر وآثاره ومن بيئته وعصره ، لأن الشاعر ثمرة ظروف كثيرة متشابكة منها ما يرجع إلى مجتمعه ومنها ما يرجع إلى ظروف أسرته الاقتصادية والاجتماعية.
- ٣ - يجب أن تحلل المؤثرات التي تعاونت على تكوين غرض معين عند الشاعر و الكاتب والأخرى التي طبعت إنتاجه وآثاره بطوابع معينة.
- ٤ - يجب تحليل اتجاهات الشعراء الجديدة الفردية والجماعية وتوضيح الآثار الأجنبية فيها.
- ٥ - يجب ملاحظة ما قد يكون أصاب الأديب من أمراض لأن ذلك قد يكون له أثر بعيد في تحليل بعض الاتجاهات عنده أو بعض الظواهر.
- ٦ - يجب تحليل جميع خواص الأدباء وتميز ظواهرها في كتاباتهم تمييزاً دقيقاً.

## مناهج البحث الأدبي الحديثة:

ليس للبحث الأدبي منهج يلتزم به النقاد ، وإنما هي مناهج عديدة ووجهات نظر مختلفة ، وكل واحد منها متفاوت عن غيره في النظر إلى النص وفيما يأتي تعريف بالمشهور من هذه المناهج لدى النقاد، وهي:

- المنهج الاجتماعي.
- المنهج الفني.
- المنهج التاريخي.
- المنهج المتكامل.

## • المنهج الاجتماعي:

- ١ - يهتم هذا المنهج بدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع ، وهذه الدراسة قديمة إذ نجدها عند أرسطو وأفلاطون ، ولم يرض بعض الدارسين المحدثين بالآراء التي قال بها أفلاطون بالنسبة إلى الشعر.
- ٢ - أقام المفكر الإيطالي " فيكو " أول محاولة منظمة للربط بين أشكال التعبير الأدبي وطبيعة الواقع الاجتماعي وذلك في كتابه " مبادئ العلم الجديد. "
- ٣ - ثم جاءت بعده " مدام دي شتال " وألفت كتابها " تناغم الأدب مع المؤسسات الاجتماعية " واستعانت بآراء بعض الفلاسفة التي ترى أن الأعمال الأدبية تتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية حيث تؤدي وظائف محددة بها.
- ٤ - يعد " تين " المؤسس الأول لعلم اجتماع الأدب حيث طور نظرية علمية كاملة للأدب وأخضع الأدب لثلاثة أمور هي : الجنس والزمان والمكان.
- ٥ - وقف بعض النقاد إزاء انعكاس الحياة الاجتماعية في الأدب والفن موقفا معارضا وعيندا ورأوا أن زمن الأدب الذي يركز على عكس المتغيرات الاجتماعية والنفسية قد ولى ، ورأى بعضهم أن الرواية الاجتماعية والنفسية فقدت حيويتها وقدرتها على الصمود في مواجهة الزمن.
- ٦ - يرى المناصرون لهذا الاتجاه أن على الفن وعلى الخصوص الفن الواقعي تقع مسؤولية كبيرة في أن يصبح العالم أكثر إشراقا وأعظم معرفة وجمالا وأن يميز بين الخير والشر وينتصر للخير.
- ٧ - ويرون كذلك أننا في حاجة ماسة لدراسة جميع جوانب المجتمع التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعمل الفنان في ظلها.
- ٨ - ويرى بعضهم أننا يجب أن نتعامل مع الأدب بوصفه نظاما اجتماعيا ، وأن هناك علاقة كبيرة بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي من حيث التأثير والتأثير.
- ٩ - هذا المنهج الاجتماعي متمم للمناهج الأخرى وليس بديلا لها ، وهو يعين على منهج نقدي أدبي متكامل.

١٠ - اتجه هذا المنهج في الأغلب إلى دراسة الأعمال الروائية ، وهو يركز على محتوى الأعمال وقد لا يتعمق في دراسة العلاقات اللغوية المكونة للعمل الأدبي.

١١ - من أهم الكتب التي درست الشعر العربي القديم حسب هذا المنهج:

أ- مقالات في الشعر الجاهلي / يوسف اليوسف.

ب- بحوث في المعلقات / يوسف اليوسف.

ج- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي / حسين مروة.

د- مدخل إلى الأدب الجاهلي / إلياس سرقيس.

هـ- استشراف الشعر / بحث لصبري حافظ منشور في مجلة فصول.

## ٢- المنهج الفني

• هو منهج يقوم على أسس فنية تعد قواعد وأصولا له .

وأهداف هذا المنهج على وجه الاجمال هي :

١- تمييز الجنس الأدبي عن غيره من الأجناس ، كالقصيدة أو القصة أو الرواية أو المسرحية أو المقالة أو الرسالة أو البحث أو ترجمة الحياة ، بحيث يوضح لنا خصائص هذا الجنس ومدى ما توفر له من هذه الخصائص .

٢- توضيح القيم الشعورية والقيم التعبيرية في النص وبيان مدى انطباقها على الأصول الفنية لهذا النص الأدبي .

٣- تلخيص خصائص الأديب نفسه من الناحية الفنية أى التعبيرية والشعورية من خلال دراسة هذا النص وتحليله ومواجهته بهذه القواعد والأصول الفنية .

ويرتكز هذا المنهج على ركيزتين أساسيتين هما :

( أ ) التأثر الذاتى من الناقد المحلل للنص ، فهو من هذا الجانب يعد منهجا ذاتيا .

(ب) العناصر الموضوعية والأصول الفنية في النص ، فهو من هذا الجانب يعد منهجا موضوعيا .

ولأن هاتين الركيزتين ضروريتان فيه ، فهو لذلك منهج ذاتي موضوعي في آن واحد ، ومن هنا كان هذا المنهج أقرب المناهج الى طبيعة الأدب من جانب ، والى طبيعة الفن من جانب آخر ، وهو أحرى المناهج بالقبول لدى دارسي الأدب وناقديه .

وهذه الركيزة المعتمدة على التأثر الذاتى للناقد ، تتطلب من الناقد صفات كثيرة تحدثنا عنها بالتفصيل ، ونحن نتحدث عن صفات الناقد الأدبي ، ونجملها هنا في كلمات نقول فيها :

ان الناقد لا بد أن تتوفر فيه صفات تعود الى الموهبة والفترة من تنبه الذهن والعمق في النظر وسرعة الاستجابة الى أثر النص الأدبي والقدرة على رؤية الأمور كما هي في الواقع والنزعة الانسانية في النقد الى جانب رصيد من الذوق الفني ، ولا بد في الناقد كذلك من صفات تعود الى الدراسة والاطلاع والثقافة بمعنيها المعروفين لدى العلماء ، مع رصيد من التجارب والممارسات الفنية للنقد فضلا عن الاحاطة بعلوم اللغة وأدبها .

وأما الركيزة الثانية وهي العناصر الموضوعية ، فتتطلب في الناقد صفات أخرى مثل سعة الأفق ورحابة الصدر التي تمكنه من التملي والتأمل الطويل للتجارب الشعورية الأخرى حتى ولو تصادمت مع مذهبه هو ، فضلا عن رصيد كبير من الخبرة اللغوية والفنية ، والمرونة في تقبل كل جديد من الأنماط الأدبية .

هذه صورة مجملة عن المنهج الفني ، نعقبها بحديث أكثر تفصيلا عنه ، فنقول وبالله التوفيق .

أما تفصيل الحديث عن المنهج فيتطلب منا أن نتحدث فيه عن النقاط الأربعة التالية :

### أولا :

يجب أن نواجه النص الأدبي الذي نريد نقده وتعليقه وتقويمه بالقواعد والأصول الفنية المقررة في علوم اللغة وعلوم البلاغة ، لتتعرف من خلال هذه المواجهة على أمرين ضروريين :

الأول منهما : هو جنس هذا النص الأدبي شعر أو نثر ، ثم نوع هذا الشعر من بين فنون الشعر المعروفة كالممدح والفخر والهجاء والوصف والغزل والرثاء وغيرها .

ثم نوع هذا الجنس النثرى من بين فنون النثر  
المعروفة كالرسالة والمقامة والمقالة والقصة وغيرها .

والثاني : معرفة مدى ما توفر لكل نوع من هذه الأنواع من  
هذه الأنواع من الخصائص المقررة له لدى العلماء ، إذ  
قد تعارف العلماء على أن كل نوع من تلك الأنواع له  
ما يميزه عن سواه .

ففى فنون الشعر تعارفوا على خصائص يتميز بها كل فن عن  
غيره ، واكمالا للفائدة نرى أن نذكر طرفا من هذه الخصائص .

### فن المدح :

تعارفوا على أنه يجب أن تتوفر فيه خصائصه التي تميزه عن  
غيره وعدوا من هذه الخصائص :

١ - جزالة اللفظ وحسن انتقائه بحيث يبعد عن السوقية  
والابتذال .

٢ - استحضار المناقب والفضائل ، وخصوصا ما كان نفسيا  
منها .

٣ - اختيار المعانى الواضحة ، والابتعاد عن الغامض منها أو  
المجهول .

٤ - ملاءمة المدح للمدوح .

٥ - المبالغة دون خروج عن المنطق .

٦ - الابتعاد عن النفاق والملق .

هكذا تعارف العلماء على تلك الخصائص ليكون فن المدح على  
الصورة المثلى المطابقة لتلك المقاييس .

غير أن الاسلام كان له موقف معين من المدح لا نزال مطالبين به  
عندما نمدح .

فالاسلام لا يجيز أن يمدح الرجل في وجهه ، لما يؤدي اليه ذلك من اعانة الشيطان على الممدوح ، أما مدح الرجل بعد موته أو الاشادة بأعماله الصالحة من غير مراعاة له ، وبحيث يكون المادح مقتنعا بأنها أعمال صالحة ، فذلك مما لا بأس به ان خلصت النية فيه ولم يكن ذلك في مواجهته .

**وفن الفخر :** كما يرى العلماء بالشعر هو مدح ولكنه مدح الشخص لنفسه فكل ما ذكروه من خصائص للمدح هي بعينها خصائص للفخر .

وليس لمسلم أن يفخر على أخيه المسلم ولا أن يزكى نفسه ، وانما يحسن الفخر اذا كان فخرا بالايمان والاسلام والعمل الصالح للأسلاف الصالحين ، أو كان في مواجهة الأعداء أو الرد عليهم ، أو في مجال الدفاع عن الحق والعاملين من أجله .

**وفن الهجاء :** ذكر له علماء الشعر ونقاده خصائص منها :

- ١ - استحضار الرذائل النفسية والخلقية لوصف المهجو بها .
- ٢ - الابتعاد عن الافحاش في الكلام .
- ٣ - اختيار الألفاظ البعيدة عن فطنة المدح والتشريف .
- ٤ - التزام الصدق في وصف المهجو .
- ٥ - استحسنا أن تكون القصيدة الهجائية قليلة عدد الأبيات .

وغير خاف على مسلم يعرف دينه أن الاسلام لا يبيح أن يهجو المسلم أخاه المسلم بحال ، لكن لا بأس أن يهجو أعداء الاسلام وأن توضح للناس انحرافاتهم عن الحق وضلالهم واتباعهم الباطل .

**وفن الوصف :** اصطلحوا له على خصائص تميزه وتجعله عند نقاد الشعر أحسن ما يكون ، ومن هذه الخصائص :

١ - الدقة في حكاية الموصوف ، حتى ليكاد يمثله للسامع عيانا .

٢ - تصوير مشاعر الواصف نحو الموصوف ، حتى لا يأتي الوصف باردا أشبه ما يكون بنقل الواقع دون تدخل من حس الشاعر وذوقه .

٣ - الاهتمام باظهار أوضح ما في الموصوف من صفات .

٤ - الاهتمام بابرز أولى الصفات بالموصوف .

٥ - اختيار الألفاظ القادرة على تصوير هذه الصفات وتوضيحها في الموصوف .

**وفن الغزل :** تعارفوا له على خصائص منها :

١ - وضوح المعنى وعدوبته .

٢ - رقة اللفظ وسهولته على اللسان .

٣ - تجنب الألفاظ الخشنة والعبارات التي لا تلائم الموقف .

٤ - البعد عن الافحاش والتدنى في اللفظ أو في المعنى .

٥ - التعبير عن الاحساس الصادق .

كما يرى بعض النقاد أن من خصائص الغزل الجيد أن يتضح فيه التهاك في الحب والصبابة .

ولا حاجة بنا الى أن نوضح موقف الاسلام من الغزل فهو معروف لا يبيح لمسلم أن يصف محاسن أجنبية ، كما لا يرضى له أن يضعف أمام الحب والصبابة ، فضلا عما في اشاعة هذا الفن من القول من تميع في الأخلاق وصرف للناس عن الحق الى الباطل واللهو .

وفن الرثاء : تعارف النقاد على خصائص له من أهمها :

- ١ - بكاء الميت و اظهار اللوعة على فقده .
- ٢ - الاشادة بفضائل الميت النفسية ومناقبه .
- ٣ - الحذر من الجمع بين الرثاء وأى أمر يفهم منه ما يدل على فرح .
- ٤ - تخير الألفاظ الموجعة المفجعة القادرة على أن توحى بالحزن والألم على فقد المرثى .

كذلك تحدث النقاد عن خصائص تميز فنونا أخرى من الشعر كفن العتاب وفن الاعتذار وفن الحماسة ، وفن الحكمة وغيرها من الفنون مما لا نحب أن نفيض في الحديث فيه ، لأن مجاله كتب النقد هذا بالنسبة لفنون الشعر ، وكذلك الأمر بالنسبة لفنون النثر فالأصل أن نتعرف على خصائصها بعد عرضها على الأصول والقواعد الفنية للمنهج الفنى ، وكما تعارف النقاد على خصائص لفنون الشعر كذلك تعارفوا على خصائص تميز أنواع النثر وفنونه .

**ومن فنون النثر :** الرسالة ، سواء أكانت عامة « سلطانية » أو خاصة اخوانية ، وعلى الرغم من أن الرسالة السلطانية انكشفت عما كانت عليه من قبل فان النقاد وضعوا لها خصائص ورسوموا لها حدودا وأبعادا .

أما الرسالة الاخوانية فانها لا تزال شائعة ذائعة في عصرنا هذا ، وقد أولاها النقاد عناية شديدة وتحدثوا في خصائصها أحاديث ضافية ، وقسموها الى أنواع عديدة أوصلها القلقشندى الى سبع عشرة رسالة هي : التهاني والتعازى ، والتهادى ، والشفاعات ، والتشوق ، والاستنارة ، واختطاب الود ، وخطبة النساء ، والاستعطاف ، والاعتذار ، والشكوى ، واستمache الحوائج ، والشكر ، والعتاب ،

والسؤال عن حال المريض ، والأخبار ، والمداعبة ، ثم قال القلقشندى  
بعد هذا الحصر : ٠٠٠ وبعض هذه الألوان يندرج تحته أضرب كثيرة .

فالتهانى يندرج تحتها أحد عشر ضربا ، منها : التهنئة  
بالولايات ، وبالقدوم من الحج ، أو السفر ، وبالمواسم ، والأعياد ،  
وبالزواج ، وبالأولاد ، وبإبلال من المرض ، وغير ذلك .

والتعازى على أضرب منها : التعزية بالابن ، وبال بنت ، وبالأب ،  
وبالأم ، وبالأخ ، وبالزوجة ، الى ما يشبه ذلك من ألوان التعازى .  
وتحدث القلقشندى عن الأضرب التى يتفرع عنها كل نوع ،  
فجعل للتعازى سبعة أضرب ٠٠ (١)

ومن فن الرسالة : الرسالة الأدبية - وهى تشبه المقالة فى  
عصرنا هذا - وسيد هذا الفن وأبو بجدته الجاحظ .

وقد تحدث النقاد عن خصائص هذه الأنواع فى شكلها ومضمونها  
والفاظها مما لا نجد مجالا هنا لذكره .

ومن فنون النثر : المقامة ، وهى أحدى من الكلام تذكر فى  
مجلس واحد يجتمع فيه الناس لسماعها (٢) .

« وأول من فتح باب عمل المقامات علامة الدهر وامام الأدب  
البيديع الهمداني ، فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة اليه ، وهى فى  
غاية من البلاغة وعلو الرتبة فى الصفة ، ثم تلاه الامام أبو محمد  
القاسم الحريرى فعمل مقاماته الخمسين المشهورة فجاءت نهاية فى

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا : ٥/٩ الى ٢٢٥ بتوسع وذكر  
تماذج عديدة لكل نوع ولكل ضرب .

(٢) السابق : ١١٠/١٤ .

الحسن ، وأتت على الجزء الوافر من الحظ وأقبل عليها الخاص والعام حتى أنست مقامات البديع وصيرتها كالمرفوضة «(١) .

وللمقامات صفات لألفاظها وسمات لمعانيها وأفكارها ، وعلامات تميز راويها وبطلها وأحداثها .

**ومن فنون النشر : المفاخرات والحوادث الجارية** وهي مقالات تتناول هذا وذاك ولألفاظها ومعانيها صفات تميزها عن سواها .

**ومن فنونه : رسائل الصيد** وهي تصف الصيد وأدواته وتصف الصائد وعاداته ، وتفيض في اصطلاح الرماة وشروطهم .

**ومن فنون النشر : الاجازات العلمية** ، وتقريظ الكتب ، ومقدماتها ، وتهذيب الناشئة وأنواع كثيرة من الهزل والمضحك .

**ومن فنونه : القصة** والأقصوصة والخرافة والحكم والأمثال .

**ومن فنونه المستحدثة : الحديث الاذاعي** والمقال الصحفي .

وكل فن من هذه الفنون لها في عرف النقاد ومصطلحاتهم خصائص تميزها عن سائر فنون النشر .

وعلى الناقد وهو يواجه الأثر الأدبي بقواعد المنهج الفنى وأصوله أن يتعرف على جنس هذا الأثر ونوعه وخصائص هذا النوع .

تلك هي الخطوة الأولى من خطوات اخضاع الأثر الادبي لقواعد المنهج الفنى في تحليل النص وتعليقه وتقويمه ونقد .

## ثانياً :

أن ينظر الناقد للنص الأدبي من أجل تحليله ونقده ، ينظر إليه نظرة تعتمد على التأثر الذاتي من جانب وعلى القواعد الموضوعية من جانب ثان ، بحيث لا يكتفى بجانب عن الآخر ، حتى يكون نقده وتحليله مؤدياً الى اصدار الأحكام الصائبة في نهاية الأمر .

والنظرة الذاتية للنص تعنى ألا يتجرد الناقد من احساسه الذاتى وذوقه الشخص ، غير أنه من الضرورى للناقد - لكيلا يطغى الجانب الذاتى فيه على غيره من العناصر الموضوعية في النص - أن يكون ذا موهبة واستعداد فنى للقيام بهذا العمل ، وأن يكون ذا تجارب وممارسات شعورية ذاتية ، وأن يكون - قبل الخوض في هذا المجال - قد اطلع اطلاقاً واسعاً على نماذج أدبية وعلى نماذج نقدية - كما أسلفنا ونحن نتحدث عن صفات الناقد الأدبى .

والنظرة الموضوعية للنص تعنى أن يكون الناقد ملماً بالقواعد والأصول الفنية التى قررتها علوم اللغة وبخاصة علوم البلاغة والتى يجب أن تتوفر في الأنموذج الادبى بعامه ، وفي نوع هذه النماذج من الشعر والنثر بصفة خاصة ، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سلف كذلك - ونحن نتحدث عن صفات الناقد الأدبى .

## ثالثاً :

• أن يوضح الناقد القيم الشعورية في النص .

والقيم الشعورية في كل إنتاج أدبى عالم مترامى الأرجاء بعيد الأمداء قل بل ندر أن يتشابه فيه أديبان في شئ ، ومن المستحيل أن يتشابه فيه أديبان في كل شئ ، اذ من المقرر الدال على عظمة خلق الله للناس أن كل انسان عالم بأسره يختلف كثيراً عن الانسان الآخر وبخاصة في أحاسيسه ومشاعره ونظرتة الى الكون والحياة ، ومن تباين الناس في أحاسيسهم ومشاعرهم ، وتميز الأدباء عن غيرهم من الناس

في رقة هذه المشاعر وشفافية هذه الأحاسيس ، يصبح النقد لتلك الفنون الشعرية أو النثرية فرصة رائعة تطلع الانسان على تصورات الأدباء للكون والحياة ، وهو في الوقت نفسه عمل يشوق الناقد والقارئ أن يتعرف على أبعاده وأغواره ومنطلقاته .

ومن أجل ضبط القيم الشعورية التي يبحث عنها الناقد في الأثر الأدبي فان علينا أن نحصى الى الحد المستطاع تلك الأمور التي يجب أن يقف عليها الناقد وهو يتعرف على القيم الشعورية في النص الأدبي .

وقد اصطلح النقاد على أن أبرز هذه الأمور ثلاثة :

أولها : التعرف على الطابع الخاص الذي يميز صاحب النص الأدبي عن سواه من الأدباء .

ثانيها : التعرف على قدرة الأديب على أن ينظر الى الكون والحياة نظرة عامة شاملة ، يتجاوز بها الجزئيات الصغيرة المحلية والآنية الى الكليات الكونية الضاربة في التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله .

ثالثها : التعرف على الصدق الفني لدى الأديب من خلال نصه الأدبي أى صدق التأثر بالموقف وصدق التأثير في القارئ أو السامع .

إذا استطاع الناقد أن يتعرف على هذه الأمور الثلاثة ، فقد له من الاختلاف ، والناقد يرصد هذا الطابع وذاك ، ولا يفتأ يرصد تعرف من خلالها على القيم الشعورية للأديب .

ولنفصل القول في هذه الأمور الثلاثة على النحو الذي نتصور معه أنها قد اتضحت وأمكن البحث عنها من خلال النص الأدبي .

أما الطابع الخاص الذي يميز الأديب عن سواه ، فهو أول سمة يبحث عنها الناقد في اديب من الأدباء ، إذ هذه السمة دليل أصالة الأديب ودليل قدرته على أن يصوغ كل عمل أدبي بأسلوبه الخاص وطابعه الشخصي ، وسواء أكان الفن الأدبي الذي يتناوله الأديب

شعرا أو قصة أو مقالة أو أى نوع من أنواع النثر أو الشعر ، فانه قادر على أن يطبعه بطابعه الشخصى بحيث يدرك القارىء - فضلا عن الناقد - أن هذا الطابع خاص بذاك الأديب ، وأن تلك السمات هى سماته .

وليس هذا الطابع الشعورى طريقة احساس فقط ، ولكنه طريقة احساس وطريقة تعبير وطريقة سير فى الموضوع وأسلوب تناول للحياة من خلال رؤية خاصة .

وهذا الطابع الخاص يمكن أن نقسمه الى أقسام ثلاثة :

• أحدها : شعورى .

• وثانيها : لفظى .

• وثالثها : تخيلى .

فالطابع الشعورى لأديب من الأدباء يمكن أن نلمسه فى طريقه احساسه بالحياة وطريقة تجاوبه مع الأحياء ، فهذا تسيطر عليه روح التشاؤم والثانى نلمس فى مشاعره روح التفاؤل ، والثالث يتميز بحب الصراع مع الناس والأشياء والرابع ندرك منه أنه متجاوب متكيف مع الناس والحياة ، والخامس متهالك متهافت على ملذات الحياة والسادس متعال متأب على سفاسف الأمور ، وهكذا الى غير نهاية تتباين مشاعر الناس ويختلف الطابع الشعورى من فرد الى آخر الى مالا نهاية له من الاختلاف والناقد يرصد هذا الطابع وذاك ، ولا يفتأ يرصد ويتعرف ، ويتعمق النظر الى هذه الآثار الأدبية يستنبتها عن مشاعر أصحابها ، فى عمل تحليلى تفسيرى ممتع للناقد المخلص لعمله أولا ، ممتع للقارىء الحريص على أن يستزيد من المعرفة ثانيا .

ويستطيع الناقد البصير أن يتعرف من خلال هذا الطابع الشعورى لأديب من الأدباء أن يدرك مدى الاصاله فى هذا الطابع أو

مدى تقليده للآخرين في احساسه ومشاعره ، والفرق بين الأصالة والتقليد فرق دقيق لا يدركه الا كبار النقاد ، اذ العناصر المشتركة بين الناس غير قليلة كذلك .

وعن طريق القيم الشعورية عند أديب من الأدباء وتبين مدى الأصالة في عمله اذا كان موهوبا ، نستطيع أن نقف على أسلوب راشد من أساليب توجيه الحياة والبشر ، يؤتاه ذلك الأديب بما عنده من قدرة على سبق خطوات الناس وانارة الطريق أمام جموعهم ، ومن هنا ندرك قيمة العمل الأدبي في الريادة والتوجيه .

والطابع اللفظي يبدو في العبارات والجمل بل في الكلمات التي يؤثرها الأديب على سواها ويعطيها من حسه وشعوره ألوانا خاصة به ، حتى ان بعض كبار الأدباء أصبح لطابعهم اللفظي ما يميزهم عن سواهم من الأدباء ، فنحن نقرأ بعد مئات السنين فنحس بطابعهم الشخصي في ألفاظهم التي يؤثرون وعباراتهم التي يختارون .

ولقد عرفنا هذا الطابع اللفظي عند كاتب كالجاحظ ، وكاتب ثان كابن المقفع وثالث كالقاضي الفاضل ، بحيث لو خلطت مقالات أو رسائل لهؤلاء الثلاثة ثم عرضت هذه المقالات على العارفين من الناقدين لأمكن أن يعرفوا أن هذا الكلام يتميز بطابع لفظي ماثور عن الجاحظ وأن هذا الكلام طابعه اللفظي ينتمي الى ابن المقفع ، وأن هذا الثالث ينتسب طابعه اللفظي الى القاضي الفاضل . . . وهكذا . . .

وكذلك الأمر عند كبار الشعراء ، فهناك طابع لفظي يتميز به البحترى وآخر يعرف به أبو تمام وثالث لابن الرومي ورابع لأبي نواس ، وخامس للمتنبي ، وسادس للمعري . . . وهكذا . . .

ومن المسلم به لدى النقاد أن تمييز أديب من الأدباء بطابع خاص في ألفاظه وعباراته يعرف به هو نمط من الأصالة ولون من القدرة الفنية لا تتوفر الا عند كبار الأدباء ، ووظيفة الناقد في جانب من جوانبها هي أن يكشف عن هذه الأصالة وتلك القدرة .

والطابع التخيلي لأديب من الأدباء هو جزء من ذلك الطابع الخاص له ، فإذا كان له طابع شعورى يميزه عن سواه وطابع لفظى كذلك ، فإن من كمال تفرده بطابع خاص أن يكون له طابعه التخيلى الخاص به كذلك .

ومادام الأديب يعبر عن تجاربه ومشاعره وعواطفه بالصور الأدبية والأخيلة وغيرها من وسائل نقل العواطف والمشاعر ، ومادامت هذه المشاعر والعواطف مختلفة أشد الاختلاف متنوعة أكثر ألوان التنوع من أديب لآخر لثالث الى غير ما لا يمكن حصره من الأدباء، فإن من الطبيعى أن تكون وسائل التعبير عن هذه المشاعر والعواطف مختلفة متعددة باختلاف الأدباء وتعدددهم .

والأديب الأصيل هو ما يتميز خياله بطابع خاص به كأن ينتزع صورته من عوالم خيالية يرسم هو أبعادها ويختار لها ألوانها ، أو يلجأ الى وسيلة من وسائل التعبير عن المشاعر هى من صنعه وابتكاره ، أو من تنسيقه وترتيبه وتقديمه وتأخيره ، هذا الأديب أديب متعمق الشعور من ناحية قوى الفطنة من ناحية ثانية ، واسع التأمل من ناحية ثالثة ، خصيب الاطلاع من ناحية رابعة . . . . وهكذا . . . .

ولن يتساوى أديب هذا طابعه التخيلى مع أديب آخر يختلف عنه فى شىء مما ذكرنا ، ومعنى ذلك أن الناقد وهو يتعرف على الطابع التخيلى لأديب من الأدباء، يجد نفسه - اذا كان الأديب أصيلا فى أدبه - أمام طابع تخيلى يتفرد به صاحبه ، وهكذا كلما درس أديبا وجد له هذا الطابع التخيلى الذى يميزه عن غيره من الأدباء .

وبهذه السمات التى تميز الطابع الشعورى والطابع اللفظى والطابع التخيلى يمكن أن نجد لكل أديب ذى أصالة طابعا خاصا يتفرد به بين الأدباء ويعرف به بين النقاد .

وأما قدرة الأديب على أن ينظر الى الكون والحياة نظرة عامة شاملة يتجاوز بها الجزئيات الصغيرة المحلية والآنية فينفذ من خلالها الى الكليات الكونية الضاربة في التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله - كما أوضحنا ونحن نتحدث عن الأمر الثاني من الأمور الثلاثة التي نتعرف من خلالها على القيم الشعورية - أما هذه القدرة فهي من أبرز ما يضع يد الناقد على معالم القيم الشعورية عند أديب من الأدباء \*

هذه القدرة على تجاوز الجزئيات الى الكليات والمحدود الى غير المحدود تدل على مدى عمق الأديب وشمول نظرته الى الكون والحياة والأحياء ، وفي هذا المجال يتفاوت الأدباء كذلك الى أبعد حدود التفاوت ، ويتأثرون في هذه القدرة بمؤثرات عديدة نشير هنا الى بعضها فنقول :

ان مما يجعل الأديب قادرا على تجاوز النظرة الضيقة المحدودة الى النظرة الشاملة العميقة أن يكون ذا اطلاع واسع وثقافة خصبة ومعرفة كبيرة بالكون والأحياء والناس والأشياء ، ويختلف الأدباء في هذا من عصر الى عصر ومن مكان الى مكان ومن مستوى حضارى الى مستوى آخر \*

والأدب الباقي على الأيام هو ذاك الأدب الذى استطاع أن ينظر الى الكون والحياة نظرة شاملة عميقة ، وهو في الأدب العربى كثير ، وبخاصة بعد أن أنعم الله على البشرية بدين الاسلام ، فعرفت عن طريق هذا الدين تلك النظرة الشاملة العميقة للحياة والأحياء ، وهذا التصور الدقيق الواعى لكل ما في الحياة من ناس وأشياء ، فليس في ديننا الناس بعد ظهور الاسلام من قضية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، فكرية أو ثقافية الا وقد نظر اليها تلك النظرة المحيطة الشاملة ، أو نضع لمن ينظر اليها القواعد والأصول التي تمكنه من أن ينظر اليها هذه النظرة \*

واذا كان في الأدب العربى نماذج أدبية استطاعت أن تعبر الينا العصور والأجيال فتمتد من العصر الجاهلى الى الآن ، فان معنى

ذلك أن هؤلاء الأدباء قد استطاعوا في نماذجهم الأدبية أن يتجاوزوا  
الجزئيات الى الكلّيات وأن ينظروا الى الكون والحياة نظرة تخاطب  
الانسان في مختلف العصور التي يعيش فيها .

أما عندما أنار الاسلام بصائر الناس وعلمهم كيف ينظرون  
للكون والحياة فقد كثرت أمامنا النماذج الأدبية التي تجاوزت بقدرتها  
وجدارتها جزئيات الحياة والمشكلات الآتية والمحلية الى الكلّيات  
الانسانية والمسائل التي تعنى الناس في كل زمان ومكان .

والأديب الأصيل يستطيع أن يسهم في توجيه الحياة والأحياء  
عن طريق قدرته على النظرة العامة المتعمقة التي ترسم خططا ناجحة  
ولأحياء يدينون بالحق والخير ويتعايشون من أجل الحق والخير ،  
وهو بهذا يسهم حقا في الترشيح والتقويم .

وفي مجال التعرف على القيم الشعورية لابد من توضيح الصدق  
الفنى عند الأديب ، أى صدق تأثره بموضوع التجربة التي يخوضها  
وصدق تأثيره فينا بمدى ايمانه بما يكتب عنه ومدى صدقه في التعبير  
عن أحاسيسه ومشاعره ، وذاك هو الأمر الثالث الذى ذكرناه ونحن  
تحاول رصد الأمور التي توضح القيم الشعورية في اثر الأديب .

فماذا نقصد بالصدق الفنى على وجه الاجمال ؟ نقصد به صدق  
الاحساس وصدق الاتصال بالموقف وصدق التعبير عنه ، بمعنى أن  
تزييف شئ من ذلك يقضى على الصدق الفنى عند الأديب .

ونقصد بالصدق الفنى على وجه التفصيل أمرين :

أولهما : صدق التأثر بالموقف .

وثانيهما : صدق التأثير به في الناس .

فكيف يصدق الأديب في تأثره بالموقف الذى يمر به ؟ لابد له أن  
يعايش هذا الموقف بحسه وشعوره ، وأن يتعمقه ويطيل التأمل فيه ،

وأن يعانیه بشكل مباشر أو غير مباشر ، وأن يبحث له عن أحسن الوسائل التي يخرجها بها الى حيز الوجود الأدبي من تصوير تخيل يعتمد على حسن اختيار الصور والدقة الواعية في تأليف الخيال واخراجه الى عالم المحسوسات مرئيات أو مسموعات أو غيرها ، وكثيرا ما يدخل في صدق تأثر الأديب بالموقف أن يختار له من الكلمات والجمل والعبارات ما يراه أقدر على ابرازه عندما يرتبه بنسق خاص تتصاعد فيه الرؤى حتى تصل الى المدى الذي يريده الأديب ، أو تتدنى حتى تصل الى المدى الذي يريده كذلك .

وقد يلجأ تجاوبا مع صدق تأثره بالموقف الى أنواع معينة من الجمل يؤثرها على سواها ، فربما لجأ الى الجمل الاخبارية المتلاصقة ، وربما أعانته على ذلك الجمل الانشائية طلبية أو غير طلبية ، وربما راوح بين هذه وتلك ، كل ذلك طمعا في أن يختار من العبارات ما يراه أقدر على تصوير صدق تأثره بالموقف .

ولن يعين الأديب في هذا المجال شيء مثل ما يعنيه سعة الثقافة وتعدد روافد المعرفة ، مع تعمق الموقف واستجلاء أبعاده كلها ، كل ذلك مع المشاعر القوية والأحاسيس المرهفة ، والصدق مع النفس في التعبير عن هذه الأحاسيس ، لأن أسوأ ما يسيء الى الأدب والأديب أن يزيّف الأديب مشاعره فيعبر عما لا يحس به استجابة لأي داعية من الدواعي التي تخدع بعض الأدباء فيلجئون الى الحديث عما لا يحسون به بصدق .

وكيف يكون الأديب صادقا في التأثير في السامعين والقراء ؟

لن يستطيع الأديب ذلك الا ان كان صادق التأثر أولا ، ثم يعينه على الوصول الى ذلك أمور عديدة من أهمها : أن يكون قادرا - لما فيه من الاستعداد والمواهب - على اثارة شعور القراء والسامعين من وراء عرض تجربته ، وذلك انما يكون بالوسائل الفنية في الصور ، وبالقدرة الفنية على الصياغة ، كما لا بد أن تختمر الأفكار التي يؤلفها حول موضوعه باطالة التأمل فيها وادامة التعمق في تجربته كاملة .

أى أن الأديب القادر على التأثير لابد له الى جانب الاحساس والذوق الفنى من الصبر على بذل الجهد الفنى أى مراوطة المعانى وصياغة الصور التى تحسن الوصول الى القراء والسامعين وتجيد أن تكون صلة بين الأديب وقرائه - أى تراسل الحواس بينه وبينهم - وهذا الاحساس والذوق الفنى عند الأديب هو الطريق الى بث الأفكار فى صور أدبية مع ألوان من التناغم والتلاؤم ، بحيث توحى هذه الصور بالأفكار والمشاعر التى يريدتها ، دون أن تدل عليها دلالة مباشرة ، اذ أن ذلك من أبرز ما يميز الأدب بعامة وهو الذى يحقق للقارئ أو السامع متعة ذهنية ومنتعة نفسية فى وقت واحد .

والقدرة الايحائية فى العمل الأدبى تتمثل فى التعبير عن التجربة ودقائقها ، على تسمية ما تولده فى النفس من عواطف ، لأن هذه التسمية قد لا تكون لها قيمة فى مجال اختبار التأثير بالنص الأدبى أو اختبار تأثير الأديب فى السامعين .

وطالما أن الأديب يعتمد فى أصالته وقدرته على شعوره بنفسه وبما حوله شعورا يتجاوب هو معه أولا ، ثم يندفع به الى الكشف عن خبايا النفس الانسانية أو الكون مستجيبا فى ذلك لهذا الشعور فى لغة ايحائية غير مباشرة طالما أن الأديب كذلك ، فان السامع أو القارئ يجد نفسه أمام عمل أدبى أصيل يقنعه بموضوع التجربة أولا ، ثم يمتعه ذهنيا ونفسيا نتيجة لهذا الجهد الفنى الذى بذله الأديب فى أدبه .

وبعد : فاذا تعرفنا من خلال نقد نص أدبى على الطابع الخاص الذى يميز صاحب النص من النواحي الشعورية واللفظية والتخلية ، ثم تعرفنا على مدى قدرة الأديب على تجاوز الجزئيات الى كلييات الكون والحياة ، ثم تعرفنا على الصدق الفنى فى عمله الأدبى صدق التأثير بالموقف وصدق التأثير فى السامع والقارئ ، اذا تعرفنا على ذلك نكون قد وقفنا على القيم الشعورية فى النص وتعرفنا على أبعادها وأعماقها .

ويبقى علينا لكي تتم دراسة النص الأدبي ونقده أن نتعرف على القيم التعبيرية فيه، وهي الخطوة الأخيرة من خطوات المنهج الفني، أو الخطوة الرابعة في عرضنا لهذا المنهج .

## رابعاً :

### • أن يوضح الناقد القيم التعبيرية في النص .

للقيم التعبيرية في الأدب أهمية كبيرة تنبع من أنها سمة للأدب يتفرد بها عن العلم ، لأن الحقيقة العلمية نستطيع أن نعبر عنها في صور متعددة دون أن يؤثر ذلك على دلالتها في قليل أو كثير ، إذ الهدف هو تأدية هذه الحقيقة العلمية فحسب .

أما في الأدب فالأمر جد مختلف ، لأن الحقيقة الشعورية لا نستطيع أن نعبر عنها في صورتها المؤثرة الموحية الا اذا كانت الألفاظ والتعبيرات قادرة على بث هذا التأثير وذاك الايحاء .

ومن أجل ذلك كان من الضروري - عند التعبير عن الحقيقة الشعورية - أن تختار الألفاظ ، وأن تنظم وتنسق العبارات ، وأن تختار بدقة طريقة السير في الموضوع وتنميته شيئاً وراء شيء ، وأن تكون هذه الألفاظ قد روعي فيها عدم الاكتفاء بمجرد دلالتها الذهنية وانما تضاف اليها مؤثرات أخرى كالصور والظلال والايحاء الموسيقى للكلمات .

كل هذه الاعتبارات تجعل من التعبيرات في العمل الأدبي شيئاً له وزنه وأهميته وفعاليتها ، وكل تلك العناصر التي أشرنا اليها في التعبيرات يجب أن تبدو في وحدة متكاملة لا ننظر فيها الى أى عنصر منها على حدة ، بل ان الصور والظلال والايحاءات والايحاء الموسيقى وان كانت قيماً تعبيرية الا أننا لا نستطيع أن نتصورها بمعزل عن الشعور والقيم الشعورية ، ومعنى ذلك أن القيم التعبيرية والقيم الشعورية متلازمان في العمل الأدبي ، ما ينازع في ذلك أحد من النقاد .

والقيم التعبيرية في صورة مجملة : ألفاظ ودلالات لهذه الألفاظ ، وتراكيب وعلوم وفنون تحكم هذه التراكيب ، وإيقاع موسيقى للألفاظ والتراكيب ، وصور وظلال تشعها الألفاظ والتراكيب زيادة على المعنى ، وأخيراً طريقة في تناول الموضوع والسير فيه أى الأسلوب الذى يلجأ إليه الأديب ، كل ذلك هو القيم التعبيرية في صورة مجملة .

أما تفصيل عناصر هذه الصورة المجملة فنشير إليها على النحو التالى :

### الألفاظ ودلالاتها :

للألفاظ نوعان من الدلالة ، دلالة على المعنى الذهني ودلالة على الصور والظلال المصاحبة للمعنى .

وفي مجال الأدب نحن نبحث عن دلالة اللفظ على الصورة والظل المصاحب للمعنى أكثر مما نبحث عن دلالته على المعنى الذهني له .

اذ المعنى الذهني للفظ ثابت لا يتغير ، بينما المعنى الشعورى له هو الذى يتغير باستمرار ، يتغير باعتبار الزمان ويتغير باعتبار المكان ويتغير باعتبار الأشخاص ، ويتغير باعتبارات عديدة أخرى قد لا تتناهى ، ومن هنا كان لابد في مجال الأدب من رصد هذه المتغيرات وهذه التغيرات .

ومن هنا كذلك تختلف دلالة الألفاظ على الصور والظلال المصاحبة للمعنى - الدلالة الشعورية - من أديب الى آخر ، ومن بيئة الى أخرى ، كما تختلف باختلاف مدى تجاوب الأديب مع هذه المتغيرات ، ومدى انفعاله بالمواقف والمشاهدات .

كل ذلك يؤدى الى أن يجد الناقد بين يديه وهو ينظر الى دلالة الألفاظ في النص الأدبي عالماً واسعاً مترامياً الأطراف من المشاعر

والانفعالات التي ترد على ذهنه وحسه كلما استعرض الألفاظ في نص من النصوص الأدبية .

ذلك أن الأدب الأصيل والأديب الأصيل كذلك ، تتبين فيهما هذه الأصالة بمقدار ما يهيا للألفاظ من نظام خاص وتنسيق معين ونسق يسمح لهذه الألفاظ بأن توحى وتشع وتحدث ايقاعا في نفس السامع أو القارئ ، وعندما يقف الأديب عند الدلالة الذهنية للفظ على معناه دون أن يكون للدلالة الشعورية في عمله نصيب ، عندئذ لا يكون منتجا لأدب بمقدار ما يعد منتجا لعلم وراغبا في الكشف عن حقائقه ، والأدب يستهدف بالدرجة الأولى أن يحقق لقارئه متعة ذهنية نفسية معا وأن يثير من مشاعره وعواطفه ما يجعله مقتنعا بمضمون النص الأدبي متجاوبا مع ما يدعو إليه من قيم ومثل .

غير أننا لا نريد في مجال النقد أن نهمل دلالة اللفظ الذهنية على معناه وإنما نحب أن نجعلها في المقام الثاني أو الثالث على حين نجعل دلالة الألفاظ الشعورية على معناها في المقام الأول .

أما التراكيب أو العبارات ، فهي في حقيقتها مجموعة من الألفاظ التي نسقها الأديب على نحو معين لتؤدي معناها الذهني ومعناها الشعوري ، على هذا النسق ومن هنا فان كل ما شرطناه في الألفاظ من صفات نشترطه في التركيب أو العبارة .

والتركيب أو العبارة يستمد دلالته الشعورية في الأدب الأصيل من أمور عديدة منها :

دلالات الألفاظ اللغوية ، والدلالة المعنوية الناشئة من حسن اختيار الأديب للألفاظ وبالتنسيق بينها في نسق خاص ، ومن الايقاع الموسيقي الناشئ من ايقاعات الألفاظ ، ثم من الصور والايحاءات التي تشعها الألفاظ في التعبير كله .

ومن الواضح أن التركيب أو العبارة هو القادر حقا - وليس اللفظ المفرد - على التعبير عن التجربة الشعورية ، لأن اللفظ لا يغني

في هذا المجال ولا يستطيع أن يظهر انفعال الأديب بالتجربة ولا نوع احساسه بها ، وانما يكون ذلك للتركيب أو العبارة كاملة ، فهو الذي يكشف عن طبيعة الشعور وعن نوعه .

واذن فان المفردات والتركيب جزء وكل لا يقوم الثاني منهما الا بالأول ولكي نحصل على المفردات والتركيب في الصورة المثلى للأدب لا بد أن ننظر الى كل منهما نظرة خاصة في مجاله الذاتى .

ففى مجال اللفظ المفرد لا بد أن يتصف كل لفظ على حدة -  
بالإضافة الى ما ذكرنا - بالصفات التالية :

- الدقة : بمعنى أن يكون دقيقا في الدلالة على معناه الشعورى المعبر عن الموقف .

- القدرة على الإيحاء : بمعنى أن يكون اللفظ قادرا على إثارة المشاعر وتحريك الأفكار نحو الهدف الذى يحاول الأديب أن يصل اليه .

- السهولة : بمعنى ألا تتنافر حروف اللفظ فتثقل على اللسان أو أن يمجها السمع .

- الألفة : بمعنى أن يكون اللفظ غير غريب المعنى ولا خافيه ، ولا بعيدا عن متناول القارئ أو السامع .

- الطرافة : بمعنى أن لا يكون اللفظ مبتذلا سوقيا ، ولا غليظا جافيا لأن الابتذال والغلظ كلاهما ينفيان عن اللفظ طرافته .

- الشاعرية : بمعنى أن يكون اللفظ خاليا من أى عيب في لفظه وليس معناه أن كلمات اللغة نوعان شاعرى وغير شاعرى .

- الاستعمال : بمعنى أن يكون اللفظ مما نطقه العرب  
واستعملوه ، لأن الاجتهاد في استعمال الألفاظ غير وارد ولا مقبول .

- الافادة : بمعنى أن يكون اللفظ له فائدته التي أضافها  
والتي تعد جديدة ، ومنمية للمعنى أو دالة عليه دلالة عميقة .

- الرقة : بمعنى أن يختار اللفظ ليبدل على معناه من جانب  
وليتلاءم مع سائر الألفاظ المستعملة في التعبير من جانب آخر ، وهذا  
شيء غير عدم تنافر الكلمات ، لأن المنظور اليه هنا هو اللفظ المفرد ،  
وليس الألفاظ مجتمعة .

- عدم التكرار : بمعنى أن الأصل في اللفظ ألا يكرر الا لسبب  
مقبول يسوغ من أجله التكرار ، بحيث يعطى اضافة الى المعنى .

- عدم الاكثار من استعمال المصطلحات : بمعنى أن يكون  
الالتجاء الى ألفاظ مقتبسة من مصطلحات العلوم والفنون أمرا ليس  
مبالغا فيه .

وفي مجال التركيب لا بد أن يخضع كل تركيب لمعايير متعددة  
حددها العلماء وجعلوا منها قواعد وأصولا يلتزم بها الذين يعبرون ،  
ومن أبرز هذه المعايير :

- معيار علم النحو وقواعده وأصوله .

- معيار علم الصرف .

- معيار علوم اللغة بعامة .

- معيار علم المعاني .

- معيار علم البيان .

- معيار علم البديع .

وربما كان تفصيل الحديث عن هذه العلوم وقواعدها ومعاييرها غير مطلوب في هذا المجال الذي نتحدث فيه ، اذ لكل علم أو فن من هذه العلوم والفنون دراساته ومؤلفاته .

غير أن الذي يبحث عنه الناقد في مجال التركيب أو العبارة هو أن يكون التركيب موافقا لهذه القواعد والأصول التي قررتها هذه العلوم والفنون من جانب ، ثم يبحث عما توفر لهذا التركيب من سمات الذوق الفني وسمات القدرة على التعبير عن الشعور ، وقدرة هذا التركيب على أن يكون ملائما للموضوع .

هذا عن الألفاظ والتركيب .

أما الايقاع الموسيقي للألفاظ والتركيب ، فنحن ننظر اليه بعد أن يكون اللفظ أو التركيب قد استوفى كل الصفات التي تحدثنا عنها ونحن نتحدث آنفا عن اللفظ والتركيب .

وعلى الرغم من أن اللفظ أو التركيب يكون مستوفيا لكل تلك الصفات فإنه أحيانا لا يكون له الوقع الموسيقي المؤثر في النفس ، فيفقد صفة هامة من صفات التركيب الأدبي الأصيل .

وللأصلاء من الأدباء قدرة على ترتيب الألفاظ والتنسيق بينها في تراكيب ملائمة بحيث تعطى ايقاعا موسيقيا يخف على الأذن ويحلو في النفس ويسهم حقا في تحقيق المتعة النفسية للقارئ .

وتكاد اللغة العربية تتميز - من بين سائر اللغات - بأنها لغة غنية بالايقاع والكلمات في العربية اذا أحسن الأديب ترتيبها ورفضها ووضع بعضها الى جوار ما يلائمه من بعضها ، تعطى من الايقاع الموسيقي للتعبير ما لا تعطيه لغات أخرى كثيرة غير العربية .

واذا نسقت العبارات فأعطت هذا الايقاع ، انتقل هذا الايقاع من الأذن الى النفس الى الحس والمشاعر ، فاذا القارئ لهذا الأدب

يحس بهذا الايقاع والتناسق في فكره ومشاعره ، أى يحس بمتعة ذهنية نفسية لهذا الأدب الذى يقرأ .

وفرق ما بين الأديب الأصيل والرجل المعبر من عامة الناس ، أن ينتقى كلماته ويحس اختيارها ويجيد نظمها والتنسيق بينها بحيث تعطى هذا الايقاع وذاك التناغم ، أما المعبر من سائر الناس فربما استعمل نفس كلمات الأديب ولكنه لا يحس اختيارها ولا يجيد نظمها والتنسيق بينها ، فلا تعطى أكثر من الدلالة الذهنية على معناها .

ويخطيء من يظن أن الايقاع في اللغة العربية وقف على الشعر دون النثر ويمعن في الخطأ من يتصور أن الايقاع في الشعر مرده الوزن القافية فحسب .

إذا الحق أن في النثر موسيقى وإيقاعا ، وأن السجع وغيره من أنماط المحسنات البديعية ، بل ونفس الكلمات عندما يحسن الأديب اختيارها ويجيد تنسيقها تضيف على النثر إيقاعا وموسيقى رائعة ، متمزج بحس القارئ وتمتع أحاسيسه .

والأمر في الشعر كذلك ، فإن أولئك الشعراء الذين يعتمدون في الايقاع والموسيقى في شعرهم على الوزن والقافية فحسب هم النظامون من الشعراء أو هم غير الأصلاء منهم ، أما أصلاء الشعراء فنحن نعرف من تاريخهم أن الواحد منهم كان ينفق الأيام والليالي ينتقى ألفاظه ويضع هذه موضع تلك ، ويقدم هذه ويؤخر تلك ، وربما أمضى على هذا النحو الأسابيع والشهور ينقح وينمق وينسق ، حتى تخرج الصياغة الشعرية في أتم صورة لها وأغناها بهذا الايقاع ، ولو لم يكن همه ذلك لأغناه الوزن وأعانتة القافية ، ووجد فيهما غناء أى غناء ، لكنه يدرك أنه لن يبلغ بأدبه وشعره منزلة التأثير في سامعيه وقرائه إلا بأن يصقل الكلمات وينسقها ويرتبها ويحشد لها من وسائل الايقاع ما هو أعمق من الوزن والقافية .

ولا بد للناقد أن ينظر الى الايقاع وأن يعتبره واحدا من أهم عناصر القيم التعبيرية .

وأما الصور والظلال التي تشعها الألفاظ والتراكيب زيادة على المعنى ، فإنها تلتبس في الأدب ولا توجد في العلم ، ذلك أن الألفاظ والتراكيب التي يستخدمها الأدباء لها قدرة على التصوير ، وعلى إعطاء التعبيرات ظللا أكثر مما يدل عليه المعنى .

وإذا كان الأدب قادرا على أن يبعث في نفوس القراء والسماعين انفعالات صادقة قوية سامية ، فإن سر ذلك كامن في أن الأدب يجعل بعث العاطفة في السامعين هو غايته الأولى ، وأن وسيلة التعبير عن العواطف هي الخيال ، والأديب الأصيل هو الذي يرى الأشياء ويدرك ما فيها من أسباب الروعة أو الحب أو الكره أو السخط أو الرضى ، ثم يعرضها على القراء والسماعين كأنها حقيقة ملموسة ، مفسرة مصورة في صور سمعية أو بصرية أو في صور مؤلفة ربما لم يسبق لها وجود الا في خيال الأديب ، فيكون عندئذ خيالا ابتكاريا رائعا .

وأصلاء الأدباء قادرون على ابتكار كثير من الصور الخيالية لكثرة ما تقع عليه حواسهم من مشاهدات وكثرة ما يمرون به من تجارب .

والخيال - كما يرى النقاد - من أنفع المواهب لدى الأديب لأنه وسيلته في تصوير العاطفة التي هي أهم عناصر الأدب .

ولا بد أن يلحظ الناقد وهو يحلل نصا أدبيا أن معيار جودة الخيال والتصوير أمور أهمها : قوة التشابه بين المشاهد الخارجية وما توحى به من انفعالات وما تبعثه من عواطف . ثم قوة الابتكار في الشخصيات المبتكرة ، ثم جمال تصوير الطبيعة والتأمل في محاسنها وأسرارها ، ثم الجودة في الصورة الأدبية بحيث لا تكون مبتذلة ولا تقليدية ، ثم القدرة على إبراز المعانى بحيث تتراءى كأنها محسنة أو مجسمة .

وجماع ذلك كله لدى الناقد البصير أن يكون الخيال قادرا على التعبير من العاطفة في صدق وفي قوة وفي جمال .

ولا بد أن نشير هنا - في سرعة - الى أن الصورة لغة وخيال اذا كانت المادة الأدبية هي فكر وعاطفة ، وأن هذه الصورة هي الوسيلة لنقل هذه المادة ، وعندما تعجز الصورة عن نقل هذه المادة الى القارئ أو السامع ، فانها تتوقف عن الاشعاع في نفس القارئ بما وراء المعنى وما يوحي به اللفظ ، وان ذلك لدليل على قصور عند الأديب ، قصور في اللغة التي يستعملها أو في الخيال الذي يختاره ، هذا اذا افترضنا أنه قد أحسن اختيار الفكرة وقوى عنده باعث العاطفة .

وهذه الاشعاعات أو الظلال التي تضيفها الصور على المعنى من شأنها أن تترك في القراء تأثيرات مختلفا من قارئ الى ثان الى ثالث الى ما لا نهاية له من القراء ، لكنها تظل عند جميع القراء قادرة على الدلالة على ما هو أكثر من المعنى ، وعلى ما هو وراء الألفاظ والتراكيب .

ومن هنا تصبح مهمة الناقد دقيقة متعددة الجوانب شاملة النظرة بعيدة الغور فيما تنظر اليه وما تعلله أو تحلله أو تفسره ليגיע بعد ذلك النقد وقد بنى على علم ومعرفة ودراية .

وأما طريقة الأديب في تناول الموضوع والسير فيه ، فالمقصود بها معنى من معانى الصورة هو الأسلوب الذي لجأ اليه الأديب لعرض تجربته وللصورة بهذا المعنى شرط جوهرى يضم مجمل خواصها هو « الوحدة » وسواء أكان الأثر الأدبى مقالة أو قصيدة أو قصة أو غيرها فلا بد فيه من هذه الوحدة ، وحدة الموضوع ووحدة الفكرة مهما تعددت العناصر الثانوية في العمل الأدبى ، وربما كان ذلك بعيدا عن دائرة القيم التعبيرية التي نتحدث عنها ، ولكن من الضروري أن ننبه اليه .

وأسلوب الأديب في عرض تجربته يستلزم - لبلوغ الهدف - أن يستوعب أبعاد الموضوع في عباراته ، كما يستلزم أن يخضع

نفسه لمنهج في عرض موضوعه ، ويستلزم كذلك عنصرين هامين هما القوة في التعبير ، والجمال في العرض أى أن الأديب الأصيل وهو يبحث عن وسيلته اللغوية للتعبير عن فكره وعواطفه لا بد أن يختار من العبارات أقواها من جانب وأدقها وأجملها من جانب آخر ، وكل ذلك يجب أن يكون في وضوح لا خفاء فيه ولا تعقيد .

وأسلوب الأديب في عرض تجربته هو المرآة التي تعكس شخصية الأديب وتفصح عن فكره واعتقاده ، ومشاعره وأخلاقه ، وميوله واتجاهاته ، وهو الذى يميز أديبا عن آخر في هذه النواحي ، ومعنى ذلك أن شخصية الأديب هى التى تطبع أسلوبه وعباراته بطابعها .

وعلى فرض أن الألفاظ والتعبيرات قد توفر لها ما ذكرنا من الخصائص التى تزيدها قدرة على أن يكون لها ايقاع موسيقى ، وعلى أن يكون لها من الظلال والايحاء ما هو أكثر من المعنى ، فإنه يبقى بعد أسلوب الأديب في عرض تجربته وطريقته في تناول موضوعه ، ليدل على فروق حادة بين أديب وأديب .

وعلى سبيل المثال فان قضية من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية أو الأدبية أو غيرها يتناولها أديب بطريقته الخاصة ويرسم لها من خلال أسلوبه تصورا يشخصها ويحدد أسلوب علاجها ، ان هذه القضية بعينها اذ تناولها أديب آخر ، فان طريقة تناوله لها وسيره في عرضها سوف تختلف كثيرا عما صنعه الأديب الأول . . . وهكذا .

وعلىنا - في مجال النقد - أن نتعرف من خلال القيم التعبيرية للنص على طريقة الأديب في تناول موضوعه ، وأن ندخل ذلك في حسابنا ونحن نصدر حكما أديبا على أديب من الأدباء .

وبعد : فان المنهج الفنى في تحليل النص الأدبى الذى تحدثنا عنه هو أقرب المناهج الى طبيعة الأدب العربى ، بل أقربها الى نفوس

نقادنا ، اذ هو المنهج الذى سار عليه الأقدمون من شيوخ النقد في الأدب العربى من أمثال : ابن سلام الجمحى في كتابه : « طبقات الشعراء » ، وابن قتيبة في كتابه : « الشعر والشعراء » ، وقدامة ابن جعفر في كتاب : « نقد الشعر » .

ثم نما المنهج الفنى وتعمقت أبعاده على أيدي أعلام النقد اللاحقين لهؤلاء من أمثال : الحسن بن بشر الأمدى في كتابه : « الموازنة بين الطائيين أبى تمام والبحترى » ، وأبى الحسن الجرجانى في كتابه : « الوساطة بين المتنبى وخصومه » حيث توسع الرجلان في خطوات المنهج الفنى أكثر ممن سبقوهما من النقاد ومن أمثال : أبى هلال العسكري في كتابه : « كتاب الصناعتين » وعبد القاهر الجرجانى في كتابيه : « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » وابن رشيق القيروانى في كتابه « العمدة » .

والمنهج الفنى من بين مناهج النقد الأدبى هو المنهج الغالب .

### ٣- المنهج التاريخي

في مستهل الحديث عن المنهج التاريخي أحب أن أنبه الى أن سائر المناهج في نقد النص أى المنهج النفسى والمتكامل لا تستغنى عن الأخذ بخطوات المنهج الفنى ، فما من نقد أو تحليل أو تفسير لعمل أدبى الا ويعتمد على الركيزتين الكبيرتين في المنهج الفنى وهما : القيم الشعورية والقيم التعبيرية ، لذلك كان المنهج الفنى أهم من سواه في مجال النقد .

بل ان التذوق واصدار الحكم اللذين هما من أبرز خصائص المنهج الفنى لا يستغنى عنهما منهج من المناهج الأخرى .

والمنهج التاريخي في صورة مجملة يستهدف الأمور الآتية :

- التعرف على مدى تأثر النص الأدبى بالبيئة التى نبع منها وعلى مدى تأثيره في هذه البيئة .

- التعرف على تأثر الأديب بالوسط الذى عاش فيه وعلى مدى تأثيره في هذا الوسط .

- التعرف على الأطوار التى مر بها فن من فنون الأدب .

- التعرف على الآراء التى قيلت في نص أدبى أو في أديب من الأدياء ، للموازنة بين هذه الآراء ، والتعرف من خلال ذلك على خصائص عصر من العصور في مجالات التيارات السائدة فيه .

- التعرف على خصائص الأدب في أمة من الأمم ، لمعرفة الظروف التى أحاطت بها .

- التأكد من صحة النص ومن صحة نسبته الى قائله ، ومعرفة الأطوار التى مر بها النص الأدبى من يوم كان مسودة بقلم صاحبه الى أن تعددت طبعاته مع معرفة التعديلات التى طرأت عليه في هذه الأطوار .

تلك صورة مجملة لأهداف المنهج التاريخي الذي يأخذ مع كل هذا بخطوات المنهج الفني ولا يستغنى عنها أو عن كثير منها بحال من الأحوال .

أما تفصيل الحديث عن المنهج التاريخي فيتطلب منا أن نتحدث فيه - على نحو ما صنعنا في المنهج الفني - في النقاط التالية :

**أولا :**

• التعرف على النص

وهذا التعرف يتناول النقاط التالية :

- ١ - التأكد من صحة نسبة النص الى قائله .
- ٢ - التعرف على النص في صورته الكاملة دون تغيير أو تشويه أو نقص .
- ٣ - معرفة تاريخ النص ، تاريخ تأليفه ، وتاريخ التعديلات التي أدخلت عليه منذ أن كان مسودة حتى آخر طبعة من طبعاته .
- ٤ - التعرف على المعنى الحرفي للنص ، وعلى المعنى الأدبي للنص . أى تحديد القيم اللفظية للنص والقيم الفكرية والعاطفية فيه .
- ٥ - التعرف على حياة صاحب النص وبيئته ، ومدى نجاحه وتأثيره وتأثره بهذه البيئة .

**ثانيا :**

• التعرف على الأديب

وذلك يتناول النقاط التالية :

- ١ - التعرف على انتاج الأديب بصورة عامة .

- ٢ - الجمع بين النصوص المتشابهة في الموضوع للأديب .
- ٣ - التعرف على الفنون المتعددة التي أنتج فيها الأديب .
- ٤ - التعرف على التيارات الفكرية والخلقية التي تميز هذا الأديب عن غيره من الأدباء .
- ٥ - التعرف على الوسط الذي عاش فيه الأديب وعلى مدى تأثيره به وتأثيره فيه .

### ثالثا :

التعرف على الآراء التي قيلت في العمل الأدبي وفي الأديب نفسه .  
وذلك يتناول النقاط التالية :

- ١ - جمع الآراء النقدية التي أبدت في العمل الأدبي وفي الأديب والنظر فيها بدقة .
- ٢ - الموازنة بين هذه الآراء لمعرفة صورة دقيقة عن أثر هذا العمل الأدبي في النقاد وغيرهم ممن أبدوا حوله ملاحظات .
- ٣ - اتخاذ هذه الآراء وسيلة للاستدلال بها على نوع الفكر السائد في ذلك العصر الذي قيل فيه هذا الانتاج الأدبي ، لذاك الأديب .
- ٤ - اتخاذ هذه الآراء وسيلة للتعرف على خصائص الوسط الذي عاش فيه الأديب والجيل الذي عايشه ، بل والأمة التي ينتمي إليها .
- ٥ - اتخاذ هذه الآراء وسيلة للتعرف على خصائص الفن الأدبي الذي أنتجه الأديب .

## رابعاً :

التعرف على الأطوار التاريخية التي مر بها فن من الفنون الأدبية .

وذلك يتناول النقاط التالية :

١ - جمع النصوص التي قيلت في هذا الفن الذي نريد أن نتعرف على أطواره التاريخية ، جمعها لأكبر عدد ممكن من الأدباء الذين كتبوا في هذا الفن ، وبالضرورة يكون هذا بعد التأكد من صحتها ومن صحة نسبتها الى قائلها .

٢ - ترتيب هذه النصوص ترتيباً تاريخياً ، مع محاولة التعرف على خصائصها في كل مرحلة أو طور .

٣ - جمع آراء النقاد فيها والاستهداء بهذه الآراء بعد العكوف على دراستها والتأني في الخروج من هذه الدراسة بآراء مثرية للعلم والأدب عموماً ، ولهذا الفن على وجه الخصوص .

٤ - التعرف من خلال هذه الدراسة على نوع العلاقة بين هذا الفن والحياة وذلك بالعناية بالاجتماع ونظمه وآدابه ، اذ الاجتماع البشرى في كل عصر تنعكس صورته بصدق في الفنون الأدبية .

٥ - التعرف على مدى تأثير هذا الفن من الأدب في الحياة والمجتمع في هذا الفن من الفنون الأدبية .

ولابد أن نشير هنا الى بعض المخاطر التي تحيط بالمنهج التاريخي ، هذه المخاطر . . من أبرزها أمور ثلاثة ، هي في الحق مخاطر العمل العلمي في كل مجال من مجالاته وهي :

### ١ - الاستقراء الناقص :

بمعنى عدم الاحاطة بالظروف والملابسات ، وعدم التتبع الدقيق للنص الأدبي وصاحبه ، وذلك كالاتتماد على الحوادث البارزة

والظواهر الفذة في حياة النص أو في حياة صاحبه ، وكالاعتماد على  
حادثة بعينها دون سواها ، فان ذلك من شأنه أن يوقع الدارس في خطأ  
اصدار أحكام غير صحيحة وغير دقيقة .

وان كان لا بد من مثال للاستقراء الناقص فهو في كثير من كتب  
الأدب والنقد حين يصدر كاتب أو ناقد حكماً على أدب عصر بأسره  
فالمقطوع به أنه لم يستوعب ظروف الأدب وملابساته في العصر كله  
اذ أن ذلك يحتاج الى جهود مئات العلماء في عدد غير قليل من السنين .

## ٢ - الأحكام القاطعة أو الجازمة :

بمعنى أن يجروا الكاتب أو الناقد على أن يصدر أحكامه في  
المسائل الأدبية بصورة قاطعة جازمة كأنها التحليل الأخير أو الرأي  
الذي لا يقبل جدلاً ولا نقاشاً ، لأن من المسلم به بين العلماء أن القطع  
والجزم وادعاء الاحاطة غير مقبول وغير صحيح .

والأفضل أن يصدر الكتاب والنقاد أحكامهم في اطار من الظن  
والترجيح ، حتى لا يغلق الباب في وجه الدارسين من جانب وحتى  
لا يضع نفسه بهذا القطع والجزم في حرج من أمره عندما تكتشف  
مستندات تاريخية تقلب حكمه رأساً على عقب .

وان كان لا بد من مثال لتلك الأحكام القاطعة - وهي غير  
صحيحة - قول بعضهم :

عزلة الحجاز عن السياسة هي التي أدت الى شيوع الغزل فيه ،  
أو قولهم : اتساع نفوذ الفرس هو الذي أدى الى ايجاد شعر المجون  
والخمريات « أو قولهم : ان كثرة الجوارى كانت سبباً في شيوع  
الغناء » الى غير ذلك من الأحكام التي تنهار عند قليل من التأمل  
والتعمق .

### ٣ - التعميم العلمي :

بمعنى أن يصدر الكاتب أو الناقد أحكاماً تعميمية على نسق ما لجأ إليه علماء الأحياء في الحديث عن حقائق الطبيعة على النحو الذي تبناه أصحاب مذهب النشوء والارتقاء ، فهم قد أصدروا هذه الأحكام التعميمية دون علم أو احاطة كاملين بحقيقة الخلية الحية وخصائصها .

وسحب هذا المذهب في التعميم من العلم إلى الأدب خطأ فادح لاختلاف طبيعة الأدب عن طبيعة العلم من جانب ، ولما يوحى به التعميم من مجازفات ونظرات غائمة من جانب آخر .

## ٤ - المنهج المتكامل

وهو منهج - كما يفهم من اسمه - يقوم على الأخذ بسائر المناهج التي تحدثنا عنها آنفا ، يستعين بالمنهج الفنى الذى يقوم فى الحقيقة على مناهج ثلاثة هى التأثرى والتقريرى والذوقى - الجمالى - ويستعين بالمنهج النفسى فىأخذ منه بهذه الملاحظات النفسية ومالها من دلالات مفيدة .

• تلك صورة مجملة للمنهج المتكامل

أما تفصيل الحديث فى المنهج المتكامل ، فهو ما ذكرناه فى المناهج الثلاثة السابقة : المنهج الفنى والمنهج التاريخى والمنهج النفسى ، ولا نجد داعيا لاعادته .

غير أنه من تمام صورة المنهج المتكامل أن نشير الى بعض خصائص يتميز بها عن كل منهج من تلك المناهج على حدة ، ومن أهم هذه الخصائص ما نذكره الآن :

**أولا :**

المنهج المتكامل لا ينظر الى الانتاج الأدبى على أنه افراز للبيئة العامة بالدرجة الأولى ولكنه افراز للأديب ، والأديب متأثر فى الغالب الأعم ببيئته ، ويرتفع قدر الأديب كلما استطاع أن يعبر عن أشواق انسانية لا ترتبط ببيئته وحدها وانما ترتبط بالجنس البشرى كله ، ولا يستطيع الأديب أن يصل الى هذا المستوى الا ان كان ذا حس بهذا الكون كله وذا اهتمام بكبريات المسائل التى تصل الانسان بالكون الكبير مثل الغيب والقدر والمثل والفضائل والردائل ، وتلك مسائل لا تتعلق ببيئة بعينها ولا بزمان بعينه ولا بعوامل تاريخية معينة .

**ثانيا :**

المنهج المتكامل لا يتجاهل القيم الشعورية ولا القيم التعبيرية فى الأثر الأدبى وانما يأخذها فى اعتباره ، ويقيس جودة الاثر الادبى أو رداوته بمقاييسها ، وهى مقاييس فنية جيدة .

### ثالثا :

المنهج المتكامل لا ينظر الى الانتاج الأدبي على أنه افراز لعوامل نفسية محددة البواعث معروفة العلل ، وانما ينظر اليه على أنه نتاج النفس البشرية بكل ما أودعها الله من قدرات وما هياها لها من استعدادات النفس البشرية التي تعد من أكبر العوامل التي خلقها الله ومن أغناها .

### رابعا :

المنهج المتكامل وان كان تعامله الأساسي مع العمل الأدبي في ذاته الا أنه لا يفضل الجوانب الأخرى التي تسهم في العمل الأدبي وتؤثر فيه دون شك ، مثل علاقة العمل الأدبي بنفسية صاحبه ، وأثر البيئة في صاحب العمل الأدبي ، فهو منهج يجمع في خطواته معظم ايجابيات المناهج التي تحدثنا عنها ، ويتجنب في خطواته أكثر سلبيات تلك المناهج ، ومن ثم كانت تسميته « والمنهج المتكامل » تسمية مناسبة حقا (١) .

وما أحب أن أترك الحديث عن مناهج تحليل النص الأدبي دون أن أتحدث عن منهج أدبي في تحليل النص الأدبي ، وذلك لأمرين الأول منهما أن ننظر فيه ونفقد منه ، والثاني أن نعلق على بعض ما جاء فيه .

(١) أفدت في الحديث عن المنهج النفسي والمنهج المتكامل من كتاب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه للمرحوم الشهيد سيد قطب .

## المراجع:

- ١ - البحث الأدبي " طبيعته - مناهجه - أصوله - مصادره " - د/ شوقي ضيف.
- ٢ - مناهج البحث العلمي - د/ عبد الرحمن بدوي.
- ٣ - منهج البحث الأدبي - د / علي جواد الطاهر.
- ٤ - منهج البحث في الأدب واللغة - لانسون وماييه - نقله إلى العربية د / محمد مندور، وهو ملحق لكتابه: النقد المنهجي عند العرب.
- ٥ - منهجية إعداد البحث العلمي - د / غازي عناية.
- ٦ - النصوص الأدبية - تحليلها ونقدها د / علي عبد الحلیم محمود.